

## من مسرح المدرسة الوجودية "الجحيم الحقيقي هو نظرة الآخرين لك"

لجان بول سارتر

*From the theater of existentialism "Hell is Other People" by Jean Paul Sartre*بوشيك عبد الرحمان<sup>\*1</sup><sup>1</sup> جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس (الجزائر)، abderrahmane.bouchikh@univ-sba.dz

تاريخ الاستلام: 2024/07/20 تاريخ القبول: 2025 /03/17 تاريخ النشر: 2025/04/12

## ملخص:

كان الفيلسوف الوجودي الشهير جان بول سارتر يبحث في تعقيد العلاقات الإنسانية وجوهر الكراهية في أعماله. واحدة من الأفكار الرئيسية في فلسفته هي أن تفاعلاتنا مع الآخرين غالباً ما تكون مليئة بالصراع والرغبة في السيطرة. تناولت هذه المقالة أسباب تطور مشاعر الكراهية نحو الآخرين من خلال تحليل مفاهيم سارتر، ومن خلال فهم عداا الآخرين ونواياهم السلبية التي جسدها مسرحيته "لا مفر"، يمكننا أن نكتسب فهماً أعمق لجذور العداا بين الأفراد والتحديات الحيوية التي تشكل مواقفنا تجاه الآخرين.

**كلمات مفتاحية:** جان بول سارتر، الفلسفة الوجودية، مسرحية لا مفر، العلاقات الإنسانية، النظرة للآخر.

## Abstract:

The famous existentialist philosopher, Jean Paul Sartre, investigated the complexity of the human relations and the essence of hatred in his works. One of the main ideas in his philosophy is that our interactions with the others are generally full of struggle and desire for domination. This study tackles the development of the feeling of hatred against the others through analyzing Sartre's concepts and understating the hostility and negative intentions of the others, which he embodied in his "No Exit". This allows a deep understanding of the roots of hostility among the individuals and the vital challenges that make our stances towards the others.

**Keywords:** Jean Paul Sartre; existentialism; No Exit play; human relations, the vision towards the other.

\*المؤلف المرسل

## 1. مقدمة:

الجحيم هو الآخر"، أو "لا مخرج"، التي ذكرها جارسين في مسرحية "الباب المغلق" "no exit" لسارتر، وانطلاقاً من الترجمة الإنجليزية لهذه الجملة، يبدو أن الآخر هو شر هذا العالم وأسبابه الجذرية إساءة. إن لم يكن هناك شيء آخر، تبدو هذه الجملة كشعار يلخص فلسفة سارتر في العلاقات بشكل لا يمكن تغييره أو تفسيره بشكل مختلف. وقد تحدث هذه العبارة جميع محاولات سارتر اللاحقة في كتاباته حول مشروع التضامن والالتزام السياسي وغيرها من أجل هذا.

تميز هذا القول السلبي بصيغته الأصلية، وأصبح مثالا لمن يريد تبادل التسامح الإنساني بما سماه سارتر بالأنانية. لذلك، يستحق النظر والبحث في أصل هذا القول وتفسيره، حيث يكشف فهم سبب قوته وشعبيته عن احتمالية أن يكون مفهوم العلاقات الجهنمية ينبع من عوامل محددة مرتبطة بالمشرحية، وليس بالطبيعة البشرية بشكل عام.

إذاً، تفتّح فلسفة سارتر الباب أمام فهم عميق للعلاقات الإنسانية وتعقيداتها. فالآخر ليس مجرد شخص آخر بل هو جزء لا يتجزأ من تشكيل الذات وتطورها. وهذا يجعل العلاقات تحمل في طياتها صراعات وتناقضات تجعلها مصدراً للتوتر والصراع. ولذلك، اختار سارتر استخدام عبارة "الجحيم هو الآخر" ليعكس هذه الديناميكية الصراعية التي تحدث بين الأنا والآخر في سعيهما لتحقيق الحرية والتفرد. والسؤال الذي يجب طرحه هنا كيف يفسر سارتر العلاقة المعقدة بين الأنا والآخر في فلسفته؟

### تفاصيل الإشكالية:

العلاقة المعقدة بين الأنا والآخر: في فلسفة سارتر، يُعتبر الآخر ليس مجرد كائن موازٍ للذات، بل عنصراً أساسياً في تشكيل الوجود الشخصي. ومع ذلك، فإن التفاعل مع الآخر غالباً ما يكون مصحوباً بصراعات داخلية وتمزقات نفسية. يتأرجح الآخر بين كونه كائناً يمكن أن يسهم في تحقيق الذات أو يسلبها حريتها، مما يبرز الصراع بين الأنا والآخر.

أما بالنسبة للنظرة السلبية تجاه العلاقات الإنسانية، فإن عبارة "الجحيم هو الآخر" تعكس التصور القاسي لسارتر حول هذه العلاقات. في رأيه، يُعتبر الآخر مصدر المعاناة والتوتر الوجودي الذي يقيد حرية الفرد. إذا كانت العلاقات مع الآخرين تمثل مصدراً دائماً للصراع، فكيف يمكن لسارتر أن يعبر عن أهمية التضامن والالتزام السياسي في كتاباته اللاحقة؟ هل تندرج هذه الكتابات ضمن مرحلة مختلفة، أم أن هناك تناقضاً داخلياً في فلسفته؟

تتجلى إشكالية العبارة في فهم مفهوم الحرية في فلسفة سارتر. حيث يضع سارتر الحرية الفردية في صميم وجود الإنسان، إلا أن هذه الحرية تواجه تهديدًا مستمرًا من "نظرة" الآخر، التي تأخذ من الفرد جزءًا من حريته وتسبب له معاناة دائمة. فهل يمكن اعتبار الآخر بمثابة سجن للذات؟ وإذا كان الأمر كذلك، كيف يمكن تحقيق تفاعل إنساني بناء أو تضامن بين الأفراد في هذا الإطار؟

مع تطور فلسفة سارتر، خاصة فيما يتعلق بمقولاته حول التضامن والالتزام السياسي، تبرز إشكالية الربط بين الفرد والآخر ضمن شبكة اجتماعية أوسع. هل تعكس العبارة "الجحيم هو الآخر" نقدًا للعلاقات الاجتماعية بشكل عام، أم أنها تقتصر على العلاقات الفردية الأكثر خصوصية؟ وهل يمكن التوفيق بين هذه النظرة السلبية ونظرة سارتر المتفائلة في فلسفته السياسية؟

السياق المسرحي: اختيار سارتر لتقديم هذا المفهوم في مسرحية "الباب المغلق" يثير تساؤلات حول تأثير السياق الفني على فهمنا لفلسفته. فالمسرحية ليست مجرد نص فلسفي، بل هي عمل فني يضع الشخصيات في موقف محدد حيث يجتمعون في غرفة مغلقة، مما يعزز فكرة أن الآخر هو مصدر العذاب. كيف تسهم هذه البيئة المغلقة في توضيح أو تأكيد المواقف الفلسفية التي يطرحها سارتر حول حرية الأفراد؟ وهل يمكن اعتبار هذه الرؤية تعبيرًا عن حالة معينة من الوجود، أم أنها تعكس حقيقة عامة حول العلاقة بين الأنا والآخر؟

### هدف البحث:

يسعى هذا البحث إلى فهم كيف أن رؤية سارتر لعلاقات الأنا بالآخر قد تكون أكثر تعقيدًا مما يوحي به الشعاع المعروف "الجحيم هو الآخر". كما يهدف إلى استكشاف ما إذا كان هذا التصور يعكس نوعًا معينًا من العلاقات الإنسانية أو أنه يمثل موقفًا فلسفيًا أعم حول الوجود البشري.

## 2. تحديد المصطلحات:

- الوجود في ذاته l'être-en-soi : هو الوجود غير الواعي، وهو وجود الأشياء، ووجود العالم، ووجود الظاهرة، ويتصف بأنه ملاء.
- الوجود لذاته l'être-pour-soi : هو الشعور أو الوعي، منظورا إليه في ذاته وكأته في حالة وحدة وانعزال؛ وهو انعدام للوجود في ذاته، وشعور بنقص الوجود، والشوق إلى الوجود.

- الوجود للغير l'être-pour-autrui: هو الشعور الاجتماعى الذى ينظر إليه من خلال علاقته بالشعورات الأخرى، وهو التخرج الثالث للوجود. يعتبر الشعور الاجتماعى بُعداً جديداً للوجود حيث يكون الذات خارجاً كموضوع بالنسبة للآخرين، ويتضمن كل وجود للغير صراعاً ونزاعاً مستمراً مع وجود الذات.
- سوء النية mauvaise foi : هو الكذب على الذات داخل وحدة الشعور المفرد. بواسطة سوء النية. يحاول الشخص الهروب من الحرية والمسؤولية التى يتحملها لوجوده لذاته التأمل réflexion: محاولة الشعور أن يصير موضوعاً لذاته. وهو الفعل الذى به يحاول الشخص أن يتخذ من نفسه موضوعاً.
- الوقائعية facticité : صفة ما هو واقعة، وهى مشتقة من الكلمة الألمانية faktizitat التى استخدمها "هسرل وهيدجر". وتشير الوقائعية أيضاً إلى حالة الإنسان، حيث أنه موجود ومحدود فى اختياراته، ولا يمكنه اختيار أن يوجد.
- الموقف situation : انخراط ما هو لذاته فى العالم. وهو نتاج الوقائعية وطريقة ما هو لذاته فى قبول وقائعيته والتأثير فيها.
- الآنية réalité – humaine : هو الوجود الإنسانى، أو كما يقول هيدجر: "الموجود الذى هو نحن" أو "وجود الإنسان".<sup>1</sup>

### 3. جان بول سارتر (1905-1980) :

جان بول سارتر، الفيلسوف والروائى وكاتب السيناريو، والناقد الأدبى والناشط السياسى الفرنسى، بدأ حياته المهنية كأستاذ حيث درس الفلسفة فى ألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية. عندما احتلت ألمانيا النازية فرنسا، انضم إلى المقاومة الفرنسية السرية. اشتهر سارتر بكونه كاتباً غزير الإنتاج، وكان لأعماله الأدبية وفلسفته المعروفة باسم الوجودية تأثير كبير فى أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية. شكل رفقة رفيقته سيمون ديوبوار ثنائياً بارزاً فى عالم الأدب والفلسفة. كان لديه مواقف صريحة وشجاعة تجاه الاستعمار، ونشر مقالات وكتب منددة بجرائم الاستعمار الفرنسى فى الجزائر.

أعمال سارتر الأدبية تتميز بالغنى بالموضوعات الفلسفية، حيث قدم كتباً بأحجام مختلفة مثل "الوجود والعدم" و"الوجودية مذهب إنسانى" و"نقد العقل الجدلى". كما كتب للمسرح أعمالاً مثل "الذباب" و"الغرفة المغلقة" و"العاهرة الفاضلة" و"الشیطان والله الصالح" و"مساجين ألتونا". فى فترة

متأخرة من حياته، أصدر كتابًا يتناول سنواته الأولى بعنوان "الكلمات"، بالإضافة إلى دراسات عن عدد من الكتاب الآخرين.

#### 4. فلسفة سارتر:

تتميز فلسفة سارتر بالإلحاد وتعرف بالوجودية الملحدة، حيث يرفض وجود الله ويتمرد عليه. في فلسفته، يقول أن "الوجودية الملحدة" تؤكد على وجود كائن على الأقل حتى في حالة عدم وجود إله خالق، وهذا الكائن يوجد قبل أن تتمكن من تعريفه بأي فكرة، وهذا الكائن هو الإنسان<sup>2</sup>. هذا التمرد لم ينشأ من نزوع عقلائي، بل جاء من إرادته التي رفضت الإيمان بالله. وعلى الرغم من أن الرفض يفترض وجود ما يرفض، إلا أن إرادة سارتر ترفض هذا الوجود لأنه لم يقدم الحماية والضمان خلال الحربين العالميتين.

وهذا دليل على أن إلحاد سارتر هو إلحاد هجومي يتجاهل البراهين العقلانية، ويعكس حالة نفسية غير عادية. وبالرغم من أن الإلحاد ليس مبدأً مطلقًا، إلا أن سارتر يرى أن المشكلة تكمن في الإنسان وقدرته على تحرير نفسه بدون الحاجة إلى قوة خارجية. في فلسفة سارتر، تظهر بعض المفاهيم مثل الوجود، الماهية، الاختيار، المسؤولية، القلق، الحرية، الذاتية، والالتزام.

#### 5. المسرح الوجودي:

يعتبر المسرح الوجودي واحداً من أبرز التيارات والمذاهب التي ظهرت في بداية القرن العشرين، حيث عكست أعماله فلسفة الوجودية، ويمكننا القول أنه بوق لأفكارها وشعاراتها خاصة في تجلياتها الحديثة عند "جان بول سارتر" و"البير كامو" و"سيمون دي بيفوار" وغيرهم.

هذه الفلسفة المجددة للفردية والروح الذاتية هي بمثابة احتجاج على التوجهات الميتافيزيقية والايديولوجية التي تقلل من دور الإنسان وتحرمه من حريته. وعلى العكس من ذلك فالمسرح الوجودي يتمحور حول الوعي والرفض، ولم يقتصر على التعبير الفلسفي بل استثمر فلسفته في الأعمال المسرحية، فإننا لا بد أن نقول "الفيلسوف الوجودي يفكر بانفعال عاطفي كمن اندمج كله في الوقائع الفعلية للوجود"<sup>3</sup> محاولاً مزج الفكر الفلسفي بالرؤية الفنية. وقد ارتبط المسرح الوجودي بمسرح العبث بسبب بعض الخصائص المشتركة في التجربة والرؤية.

يعد المسرح الوجودي ظاهرة تستدعي البحث والاستقصاء، حيث رافقت التطورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية للقرن العشرين. وقد أثر المسرح الوجودي بتنويعاته وتجلياته بشكل كبير على تيارات الحداثة وما بعد الحداثة.

## 6. المدرسة الوجودية في المسرح:

تمثل المدرسة الوجودية في المسرح تياراً فنياً وفلسفياً ينطلق من فلسفة الوجودية التي ظهرت في القرن العشرين، وقد عكست هذه المدرسة الفنية والفلسفية تأثير الفلسفة على المسرح. وتعود خلفية هذه المدرسة التاريخية إلى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، حيث شهد العالم تحولات وتغيرات اجتماعية وسياسية وثقافية كبيرة، مما أدى إلى ظهور فكر جديد في المسرح والفلسفة يركز على مفهوم الوجود والعدم. حيث تهدف إلى استكشاف أهم المفاهيم الفلسفية والإنسانية من خلال العروض المسرحية والأداء الحي. تسعى إلى فهم عميق لتأثير الوجود والعدم على حياة الإنسان والتعبير عنها بشكل إبداعي.

تتمحور المدرسة الوجودية في المسرح حول قضايا الهوية والوجود والحرية، محاولةً رسم صورة واقعية ومعبرة عن التحديات التي يواجهها الإنسان في عالمه. تعتمد هذه المدرسة على التجربة والتجارب الشخصية، مما يمنح الفنانين والممثلين فرصة لاستكشاف وتعبير مشاعرهم وتجاربهم الشخصية. حيث بدأت المدرسة الوجودية تشكك في القيم والأخلاق التقليدية التي كانت معتمدة في المجتمع الأوروبي. بعد كشف الحرب عن زيف هذه القيم وتدنيها، وفي منظورها ترى أنّ الوجود هو الأصل وليس الماهية أي الوجود يسبق الجوهر بالمعنى "ما أنت عليه (جوهرك) هو نتاج اختياراتك (وجودك) وليس العكس. الجوهر ليس المصير؛ فأنت من تختار لنفسك ما تكون عليه"<sup>4</sup>، وبالتالي يُعتبر الإنسان حراً وقادراً على اختيار الماهية التي يريد لها وتحديد مصيره بناءً على اختياراته.

يعد سارتر، أحد أبرز الفلاسفة الوجوديين، أنكر وجود الله واعتبر الفكرة الإلهية ضارة تعيق تطور الإنسان وتحول دون تحرره. حيث يقول: "الإنسان حر حرية مطلقة في اختياراته دون تدخل أي قوة خارجية حتى لا تحول بينه وبين هذه الحرية، وترجمتها إلى أقوال وأفعال"<sup>5</sup>، وقد اقترنت الحرية عنده بعنصرين أساسيين هما الالتزام والمسؤولية، إذ يرى أنّ الإنسان يتحكم في حياته من خلال حريته. وبمعنى آخر، عندما يكون الإنسان حراً، يكون حاضراً بالفعل. وبالتالي، يعتبر أي انتهاك لحريته انتهاكاً لوجوده، مما يدفعه بشكل طبيعي إلى اتخاذ قرار بالدفاع عن حقه في الحرية. بالنسبة له، بعد الحياة يأتي الموت والعدم، ويُنظر للإنسان كممثل يؤدي دوره في الحياة وبعد انتهاء دوره يعود إلى العدم. هذه الفلسفة تعتبر الوجود هو المركز الأساسي للتفكير.

وعليه تقوم الفلسفة الوجودية على ثلاثة أسس رئيسية وهي: الحرية والمسؤولية والالتزام. وتعني هذه الفلسفة أنها تدعو إلى حرية القول والفعل من خلال حرية الحدث والزمان والمكان. وقد ساهمت هذه

الفلسفة في انتشار الإباحية والتخلص من التقاليد الموروثة. وأدت إلى انتشار الإلحاد بين الشباب وصراع مع الكنيسة واليسوعيين. ومع ذلك، فإن الحرية عند "سارتر" ليست فوضى بل هي مسؤولية اجتماعية وسياسية قصد التحرر الحقيقي. وهكذا، يمكننا أولاً أن نصف دراما سارتر الوجودية بأنها دراما التزام "في حين تظل الوجودية هي الطريق الملموس الوحيد نحو الواقع"<sup>6</sup>، وتسببت هذه الأسس في توليد مشاعر القلق والهجران واليأس في الإنسان.

ولا يفوتنا أن ننوه إلى بعض النصوص المسرحية التي أظهرت وجودية الكاتب كمسرحية "الذباب"، حيث ينتقد "سارتر" فيها قرارات الآلهة ويعتبرها متناقضة. تمثل هذه المسرحية ثورة ضد قضاء الآلهة وتظهر أن الجريمة كانت مصيراً محتوماً في العائلة. على الرغم من ذلك، رفضت الآلهة أن تمنح المجرم الذي قتل أمه عقوبة أشد، فأرسلت عليه أسراب الذباب أو الإبرينيات. ومسرحية "موتى بلا قبور" و"العاهرة الفاضلة" و"الشيطان والله الصالح".

## 7. المفاهيم الأساسية للوجودية في المسرح:

تتضمن المدرسة الوجودية في المسرح مفاهيم أساسية مثل الوجود، والغربة، والوجود الإنساني، والقيمة الإنسانية، والتجربة الحية، وتسعى هذه المفاهيم الأساسية لفهم العلاقة الوثيقة بين الإنسان والوجود، وكيفية تأثير الواقعية الإنسانية على الفنون المسرحية. ويُعدّ الفهم العميق لهذه المفاهيم جوهرها لفهم الفلسفة الوجودية في المسرح وتأثيرها على المجتمع والثقافة.

- الوجود: مفهوم الوجود في الفلسفة يمثل موضوعاً مهماً يتناوله العديد من الفلاسفة عبر التاريخ، وهو مبحثاً أساسياً من مباحث الفلسفة الأساسية وركيزة مهمة من ركائز البحث الفلسفي ومنطلقاً أساسياً لصياغة موسوعة كاملة عن الله والكون والإنسان، ويعد من أهم التيارات الفكرية الفلسفية على صعيد التراث الفلسفي، ومنه "علم الوجود، المعروف أيضاً بالانطولوجيا، هو فرع من الفلسفة يدرس الكائن بذاته بمعزل عن حالاته وظواهره. يعتبر الوجود في حد ذاته موضوع الانطولوجيا، وهي نظرية الوجود كما وردت في فلسفة أرسطو. أول من استخدم هذا المصطلح في الفلسفة كان كريستيان فولف في عام 1754. الانطولوجيا هي علم المبادئ الأساسية أو نظرية المقولات، وهي الفلسفة النهائية المطلقة، وعلم الكون الفعلي وترادفها هو الميتافيزيقا"<sup>7</sup>. من هذه النقطة تنطلق الفلسفة الوجودية، حيث "يعتبر مارتين هايدجر أن وجود الإنسان في العالم هو صيغة أساسية يجب التسليم بها. لا يمكن وضعها موضع مشكلة والبحث عن حلول

مجردة لها، على عكس ما فعلته الفلسفة التقليدية"<sup>8</sup>. ولا تتحقق هذه الصيغة إلا تحت ضوء الكينونة، أو الوجود المطلق.

• الغربية: تأتي أهمية مفهوم الغربية في الفلسفة من تأثيرها الكبير على الفرد والمجتمع، حيث تفتح الباب أمام فهم أعمق لظاهرة الغربية وتأثيرها الشامل. تُسهم في توسيع آفاق الفلسفة ومناقشة قضايا الهوية والتبعية والانتماء بشكل فلسفي محكم وموضوعي.

• الوجود الإنساني: إن الوجود الإنساني يدور حول اختيار من نحن، واختيار من نحن يعني أننا نختار الشخصية التي نريد أن نكون عليها. وهذا هو المقصود بعبارة "الماهية لاحقة للوجود". "الوجوديين، سواء كانوا مسيحيين أو ملحدين، يعتقدون جميعاً أن الوجود موجود قبل الجوهر، أو أن الذاتية تأتي أولاً"<sup>9</sup>، لأنه لكي نختار، علينا أن نكون موجودين أولاً. يعتمد جوهر الوجود الإنساني على فهم أننا لسنا كائنًا جسديًا ونفسيًا فحسب، بل كائنًا اجتماعيًا أيضًا. بمعنى آخر، يتم تحديد وجودنا من خلال تفاعلاتنا مع الآخرين سواء كانوا كبارًا أو غير ذلك.

• القيمة الإنسانية: تتمثل القيمة الإنسانية في المبادئ والمعتقدات التي توجه سلوك الإنسان وتؤثر على تفكيره وحياته بشكل عام. فهي تشمل مفاهيم الحقيقة، العدالة، الحرية، العطاء والإخلاص، وتعكس قيمة أخلاقية ومرجعاً للتصرفات الإنسانية. تلعب القيم الإنسانية دوراً فعالاً في بناء المجتمعات ودفعها نحو التطور والتقدم، حيث تعتبر أساساً في صناعة القرارات وتحديد الأولويات في العديد من المجالات الحياتية.

• التجربة الحية: عندما نتحدث عن دور التجربة الحية في تطور الفلسفة، نجد أنه من المهم النظر إلى مفهوم التجربة الحية وتحديد بدقه. فالتجربة الحية تعني الاستفادة من الخبرات الشخصية والتجارب العملية كوسيلة لاكتساب وتطوير المعرفة والفهم، تقوم التجربة الحية بدورها حاسماً في الفلسفة عندما يتعلق الأمر بفهم الواقع وصياغة النظريات الفلسفية. يلجأ الفلاسفة في الكثير من الأحيان على تجاربهم الشخصية وملاحظاتهم لبناء وتطوير الأفكار والنظريات.

## 8. النظرة الفلسفية "لسارتر" للمجتمع من خلال مسرحية "لا مفر":

سارتر، واحد من رواد الفلسفة الوجودية، تأثرت فلسفته بشكل كبير بتجاربه الشخصية والأحداث التاريخية التي شهداها. يُظهر تأثير السيرة الذاتية والخلفية الفلسفية لسارتر على عقيدته

وفلسفته، حيث تشكلت اتجاهاته الفلسفية من خلال الأحداث الشخصية والسياسية التي مر بها. وعلى إثرها يواجه الكاتب الشاب تحديات في حياته المهنية ويشعر بالإحباط من تفاعل الآخرين معه. في المناقشات يعبر سارتر عن فكرته بأن الآخرين يراقبونه ويحكمون عليه، مما يثير استياءه تجاه المجموعة التي تحدد نقائصه وتحكم عليه. وتنطوي وجهة النظر في فكره على أن الجحيم هو الآخر، لأنه ينظر إليّ بمنظور يقلل من قيمتي. وهذا يعني تدمير ذاتي، فلا يمكن أن يكون هناك حب حقيقي مع الآخر، لأن الشخصية المستقلة ترفض التنازل عن حريتها وهويتها، بالنسبة "لسارتر" الآخر هو العامل المدمر الذي يسحق مبادئه وإرادته. وهذا يتعارض مع المفاهيم السائدة والتي تعتبر أساساً للحياة.

هذا السيناريو يري المسرح لاستكشاف أفكار سارتر حول كيفية تفاعل مثل هذه التفاعلات لتعزيز مشاعر الكراهية، ومن خلال هذا المنظور يمكننا فحص كيفية مساهمة دينامية الإدراك واحترام الذات، والقلق الوجودي في تطوير المشاعر السلبية تجاه الآخرين، كما عبر عنها في فلسفته.

في نظر "سارتر" العلاقات الإنسانية مليئة بالتوتر بسبب الصراع المتأصل بين الذات والآخر "وفي الصراع تتاح الفرصة أمام الإنسان لكي يوجد، ولكي يعلن عن وجوده"<sup>10</sup>، يتجلى هذا الصراع بوضوح من خلال مفهوم النظرة حيث تتسبب مراقبة الآخرين للفرد في جعله يشعر بالوعي الذاتي، ويشعر بأنه موضوع للتحليل. على سبيل المثال تخيل سيناريو يشعر فيه الموظف بكراهية شديدة تجاه زميل يبدو أنه يراقب عمله باستمرار، يفسر الموظف هذه المراقبة كحكم تقليل من شأنه، يمكن أن تؤدي هذه الديناميكية إلى مشاعر العدا، حيث يصارع الموظف مع الخوف من أن يُنظر إليه على أنه أقل شأنًا.

يجادل سارتر بأن مثل هذه التفاعلات غالبا ما تدفع الأفراد إلى التصرف بسوء النية، ويرى "أن سوء النية هو إمكانية مباشرة للحرية"<sup>11</sup>، حيث ينكرون حريتهم ومسؤوليتهم من خلال الامتنال لتوقعات الآخرين، ويمكن أن يؤدي هذا إلى دورة من الاستياء حيث يكره الأفراد أولئك الذين يعتقدون إنهم يجبرونهم على أدوار تخوين ذواتهم الحقيقية.

وبناءً على ذلك، إن التأثير الاجتماعي عميق؛ حيث تصبح أماكن العمل والمدارس والبيئة الاجتماعية ساحات لصراع السلطة الدقيقة "وتقوم هذه الصراعات لأن البيئة من شأنها أن تثقل كاهل الفرد بمتطلبات جديدة وقد سعى إريكسون هذه التحديات البيئية الأزمات"<sup>12</sup>؛ حيث تتعارض الرغبة في تأكيد الهوية الشخصية مع الضغط للتوافق نفسيا. ومن البديهي أن يؤدي هذا الصراع المستمر إلى التوتر والقلق والشعور بالاغتراب، حيث يشعر الأفراد بأنهم محاصرون في الصور التي يفرضها عليهم الآخرون.

وعلى هذا الأساس يطرح سارتر فكرة أنّ الأفراد غالبا ما يرون أنفسهم من خلال عيون الآخرين، وهكذا نجد سارتر يركز على الوجودية في كتاباته، مؤكداً على فردية الفرد ووجوده كصرخة لإنقاذ الفرد من الاستبداد والسيطرة. وهو مفهوم يشير إليه بالكينونة للآخرين، "فهذا الوضع يجعل الكينونة الذاتية تتصرّف بطريقة مخجلة على نظرة الآخر، وتحديقه الذي يمنع تماما حرية الاختيار، لذلك اختتم سارتر مسرحيته "لا مفر" بمقولته المشهورة الآخرون هم الجحيم.<sup>13</sup> يمكن لهذا الإدراك الخارجي أن يؤثر بشكل كبير على صورة الفرد الذاتية، وإحساسه بالقيمة. على سبيل المثال قد يطور المراهق الذي يسعى باستمرار للحصول على موافقة أقرانه مفهوما ذاتيا يتأثر بشدة بكيفية إدراكهم له من قبل مجموعته الاجتماعية، إذا شعر بأنّه يحكم عليه أو يُنتقد فقد يؤدي ذلك إلى شك داخلي وحتى كراهية الذات.

ومن زاوية أخرى يلعب الحكم الخارجي دورا محوريا في تشكيل الهوية الذاتية عندما يعتمد الأفراد على تصديق الآخرين، يصبح تقديرهم لذاتهم مرهونا بتحقيق معايير خارجية، ويمكن أن تعزز هذه التبعية دورة مفرغة من البحث عن التحقق والتعرض للرفض، مما يزيد من مشاعر النقص والاستياء تُجاء أولئك الذين يتطلعون إلى الحصول على موافقتهم نفسيا، ولا بد من الإشارة إلى أنّ هذه الديناميكية قد تكون ضارة؛ حيث تقود تطوير الذات الحقيقية. الأمر الذي يقضي بمعاناة الأفراد المحاصرون في هذه الدورة من مشاعر عدم القيمة، ويطورون كراهية عميقة تجاه أولئك الذين يعتقدون أنّهم يمتلكون مفاتيح تقديرهم لذواتهم.

والملاحظ من خلال فحص فلسفة سارتر، نرى كيف يمكن أن يؤدي التفاعل بين الإدراك الخارجي والهوية الذاتية إلى الكراهية، ويتيح لنا فهم هذه الديناميات، وإدراك الجذور النفسية والاجتماعية للعداء بين الأفراد، "وتلك هي ذروة الموقف الوجودي، أو على حد تعبير سارتر "عذاب الإنسان"، فالحياة هي هذا الجحيم، ولكن الفرار من الحياة هو الجحيم. والبطولة عند الوجوديين ليست في الفرار ولكنها في الاستمرار"<sup>14</sup>، مما يبرز أهمية خلق بيئات يمكن فيها للأفراد تطوير قيمة ذاتية مستقلة عن التحقق الخارجي.

في فلسفة سارتر، يحتل الوعي الذاتي والآخر مكانة بارزة. يعتقد سارتر أنّ الإنسان ليس مجرد كائن مادي أو عضو في مجتمع، بل هو "وجود في العالم"، حيث يحدد ذاته ويشكل هويته من خلال تفاعلاته مع الآخرين. يظهر هنا الصراع بين الرغبة في الاعتراف بالذات ككائن مستقل والانغماس في آراء الآخرين. هذا التفاعل بين الإدراك الخارجي (كيف ينظر الآخرون إلى الفرد) والهوية الذاتية يمكن أن يؤدي إلى مشاعر

الكرهية والصراع، إذ عندما يفتقر الفرد إلى قبول الآخر، يشعر بالتشويش وعدم الاستقرار، مما يزيد من مشاعر العداء تجاه هذا الآخر.

يصف سارتر هذا التفاعل كجزء من "عذاب الإنسان". هذا العذاب لا ينبع فقط من الوعي بالوجود، بل أيضاً من الوعي المستمر بأننا دائماً مكشوفون أمام الآخر، الذي قد يقوم بتحديدنا وتصنيفنا وفقاً لرؤيته. إن الصراع بين الذات والآخر هو ما يجعل الحياة تبدو كجحيم دائم. وفي الوقت نفسه، يشير سارتر إلى أنه لا يوجد مفر من هذا الجحيم، حيث إن محاولة الهروب منه لن تؤدي إلا إلى مزيد من المعاناة. إن انسحاب الفرد إلى الانغلاق أو الابتعاد عن التفاعل الاجتماعي لا يعفيه من الجحيم الداخلي، بل قد يزيد من شعوره بالعزلة والفراغ.

ومع ذلك، يوجه سارتر انتباهنا إلى أن البطولة الوجودية لا تكمن في الهروب من هذه التوترات والصراعات، بل في الاستمرار في العيش رغم هذا العذاب. هذا الاستمرار هو ما يميز الوجودية، حيث يُطلب من الإنسان تحمل عبء وجوده، ومواجهة تحديات الحياة وقيودها، والسعي لبناء هوية مستقلة، حتى وإن حاول الآخر تعريفه أو تحديده.

ومن ثمّ فالعلاقة البيئية تلعب دوراً حاسماً في تشكيل الهوية الشخصية كما يوضح "سارتر" من خلال مفهومه للآخر، بينما تعتبر وجود الآخرين أمراً أساسياً للوعي الذاتي، والتطور الشخصي. فإنّه يقدم أيضاً تعقيدات في كيفية إدراكنا لأنفسنا من الجوانب الإيجابية لتعتمد على الآخرين للتحقق "لأنّ صورة كل فرد عن ذاته تتكون من خلال نظرة الآخرين إليه"<sup>15</sup>، وتأسيساً على ذلك يأتي تأكيد وجود الفرد، وتعزيز قيمة الذات من خلال العلاقات المؤيدة. على سبيل المثال، قد يشعر الطالب الذي يتلقى إشادة من معلمه بالتحفيز، والتشجيع مما يعزز مفهومه الذاتي الإيجابي، ومع ذلك هناك جوانب سلبية أيضاً. وعلاوة على ذلك فإنّه يمكن أن يؤدي الاعتماد المفرط على التحقق الخارجي إلى هوية ذاتية هشة يتأثر بها إلى حد كبير آراء الآخرين، وفضلاً عن ذلك يمكن أن ينتج عن تلك الحاجة المستمرة الموافقة، وخوف من الرفض، مما يجعل الأفراد عرضة للقلق والاكتئاب عندما لا يتم تلقي التحقق أو عندما يتم إدراك الأحكام السلبية؛ فإنّه يؤدي ذلك إلى مشاعر النقص والاستياء.

وبطبيعة الحال فإنّ التفاعلات الاجتماعية تسهم في النمو الشخصي والمعاناة على حد سواء.. من جهة، فإنّها توفر فرصاً لاكتشاف الذات والتعلم والدعم العاطفي. وأيضاً يمكن أن تعزز التفاعلات الإيجابية شعوراً بالانتماء والتقدير الذاتي. ومن ناحية أخرى، يمكن أن تبرز التفاعلات السلبية الأمور التي

تثير الشكوك وتثير القلق الوجودي، على سبيل المثال قد ينمو الشخص من خلال الانتقادات البناءة، ولكن قد يعاني من الأحكام المدركة التي تقود قيمته الذاتية.

وفي السياق ذاته، تلعب الأنا دورا مركزيا في تشكيل إدراكات، وردود الفعل الفردية لأن "الأنا لا تستطيع خلق خارجية ضمن نفسها دون أن تصطدم بالآخر"<sup>16</sup>، ومن خلال الأنا يقوم الأفراد ببناء صورتهم الذاتية وتحركهم في العالم، ومع ذلك يمكن أن تؤدي الأنا المنتفخة أو الهشة إلى انحراف الإدراكات والاستجابات العاطفية السلبية عندما يتعلق الأمر بشكل زائد بالصورة الذاتية المعينة، فإن أي تهديد لتلك الصورة يمكن أن ينتج عنه معاناة، على سبيل المثال قد يرد الشخص الذي يفخر بكونه كفوًا للغاية بتصرفات دفاعية أو بعدوانية عندما يتم التساؤل عن قدراته معتبرا ذلك هجوما شخصيا.

ومما لا شك فيه فإنّ التعلق بالصورة الذاتية يخلق إطارا جامدا، حيث يسعى الأفراد باستمرار للحفاظ على أو تعزيز وضعهم المدرك، "فالذاتية ليست شيئا أو جوهرًا، بل منتهى العام والخاص أيضا...إنّها متلونة"<sup>17</sup>، هذا السعي غالبا ما يؤدي إلى القلق، والخوف من الفشل. حيث ينظر إلى أي انحراف عن الصورة الذاتية المثالية على أنه تهديد كبير.

ومنه تنبع المعاناة من الضغط المستمر للتماشي مع معيار غالبا ما يكون غير واقعي، مما يؤدي إلى مشاعر النقص والاستياء تجاه أولئك الذين يدركونك أكثر نجاحا أو حرصا للتخفيف من المعاناة الناتجة عن الأنا. وتفسيرا لذلك يمكن أن تكون وجهات النظر والممارسات البديلة مفيدة، كما يمكن أن تساعد ممارسات الانتباه والوعي الذاتي مثل تأمل الأفراد على التعرف على الطبيعة العابرة للأفكار، والعواطف مما يقلل من التعلق بصورة ذاتية ثابتة.

والواضح أنّ تشجيع مبادئ الواقعية للوجودية، يشجع الأفراد على قبول حريتهم ومسؤوليتهم الأساسية، فوجود الإنسان يعتمد على حريته في اختيار هدف حياته الذي يعكس المعنى الذي يسعى لتحقيقه. لذا يجب على الإنسان أن يلتزم بالهدف الذي اختاره وأن يكون على استعداد لتحمل تبعات هذا الاختيار. وهذا ما "أكده" جارسان" لـ "إستيل" خلال حوارهما الذي دار حول أهمية الحياة والمبادئ. فهل يعتبر خطأ أن يعيش الإنسان من أجل مبادئه؟"<sup>18</sup>، من هذا المنطلق، يتم تعزيز مفهوم يتمتع بالمرونة والمتانة، إضافة إلى ذلك تعزيز نهج الرفق بالذات، وقبول الذات يتيح للأفراد التعامل مع التحديات والانتقادات بدون دفاعية مدفوعة بالأنا، مما يؤدي إلى علاقات بين الأشخاص أكثر صحة وملئا.

ولا مناص من القول أنّ استكشاف سارتر للكراهية والعلاقات الإنسانية تكشف عن تأثير عميق للإدراك الخارجي والأنا، والصورة الذاتية على تفاعلاتنا مع الآخرين، والضرر الذي نلحقه بهم، حيث جسد

ذلك على لسان شخصيته المسرحية "إينيز" في قولها "إنّ هناك أشخاصاً تألموا من أجلنا حتى الموت، وكان ذلك يسلبنا كثيراً. ولا بد الآن من أن ندفع الثمن"<sup>19</sup>، من خلال فهم هذه الديناميات يمكننا التنقل بشكل أفضل في تعقيدات العلاقات البينية، وتعزيز البيئات التي تعزز النمو الشخصي والحقيقي.

الجزء الأول من الفقرة يتناول تأثير الإدراك الخارجي على الأفراد. في فلسفة سارتر، يُعتبر الإدراك الخارجي (أي كيف يرانا الآخرون وكيف نرى أنفسنا من خلال أعينهم) عاملاً أساسياً في تشكيل هويتنا. عندما نشعر بأن الآخرين يراقبوننا أو يحكمون علينا، قد نواجه تأثيرات نفسية عميقة. يُطلق سارتر على هذه الحالة "النظرة" أو "نظرة الآخر"، حيث أن وجود الآخر لا يقتصر على كونه مادياً فحسب، بل يشكل جزءاً مهماً من هويتنا الذاتية. نحن لا نعيش في عزلة؛ بل نعيش في عالم اجتماعي يتسم بالتأثير والتفاعل المستمر مع الآخرين.

في هذا السياق، تبرز شخصية "إينيز" في مسرحية "الجحيم هم الآخرون"، التي تُعتبر واحدة من أبرز أعمال سارتر المسرحية. تقول إينيز: "هناك أشخاص عانوا من أجلنا حتى الموت، وهذا كان يسلبنا الكثير. والآن حان الوقت لدفع الثمن." تعكس هذه الكلمات الصراع الداخلي بين الذات والآخرين. في عالم سارتر، لا تتمتع الشخصيات بحرية كاملة؛ إذ تظل دائماً تحت تأثير "نظرة" الآخرين، مما يترك أثراً سلبية على النفس.

إن قول إينيز بأن "الآخرين عانوا من أجلنا حتى الموت" قد يشير إلى الألم الناتج عن محاولة فهم الآخر أو من خلال تجاربهم مع العالم، وكيف أن هذا الألم يمكن أن يؤثر على حياتنا. ربما تشير إينيز إلى تكلفة العلاقات الإنسانية المعقدة، حيث يمكن أن تكون التفاعلات بين الأفراد مؤلمة، وقد تؤدي في الوقت نفسه إلى تطور أو تدمير الذات.

أما الجزء المتعلق بـ "ضرورة دفع الثمن الآن" يشير إلى الشعور بالعواقب الناتجة عن التفاعلات مع الآخرين. في فلسفة سارتر، لا يمكن تحقيق الخلاص الفردي بمعزل عن المجتمع. فالأفراد دائماً "مشروطون" بتصرفات الآخرين تجاههم وباختياراتهم في إطار التفاعل الاجتماعي. بمعنى آخر، يتحمل كل شخص مسؤولية أفعاله وأفعال الآخرين تجاهه.

أما بالنسبة لتأثيرات الأنا، فإنها تُعتبر مصدراً آخر للتوتر والصراع في فلسفة سارتر. عندما يهيمن الأنا على تفكير الفرد، يدخل الشخص في صراع داخلي مستمر حول هويته، مما يعزز شعور الانفصال عن الآخرين. وبالتالي، تصبح الذات غير قادرة على إقامة علاقات حقيقية، لأنها محكومة بالأنا، مما يمنعها من التواصل بشكل أصيل مع الآخر.

تدعو هذه الرؤية إلى التفكير في أهمية التحرر من تأثيرات النظرة الخارجية والابتعاد عن تأثيرات الأنا المتضخمة. عندما يدرك الأفراد كيف تؤثر هذه العوامل على حياتهم وعلاقاتهم، يصبح بإمكانهم اتخاذ خطوات لتحسين بيئاتهم الاجتماعية وتعزيز نموهم الشخصي. وهذا يعزز مجتمعاً يقوم على الفهم المتبادل والتعاطف الحقيقي بين الأفراد، حيث يمكن للجميع التفاعل بصدق ودون خوف من الحكم الخارجي أو الهيمنة الداخلية.

## 9. خاتمة:

في ختام هذه الورقة البحثية، يمكننا التوصل إلى أهم النتائج التي تتناسب مع موضوع الدراسة والمتمثلة كالآتي:

- يتناول موضوع البحث، السياق العام لمسرحية الجحيم هو الآخرون لسارتر، ويشير إلى أهمية دراسة النظرة الاجتماعية التي يتبناها الكاتب في أعماله. كما يسلط الضوء على تأثير العوامل الاجتماعية والفلسفية على فهم الأفراد للذات والآخرين.
- تجسد مسرحية "الباب المغلق أو لا مفر" تحولاً فكرياً وتعبيراً إيديولوجياً يتناول موضوع الوجودية البشرية ومعاناة الإنسان في عالم منعزل. وتعد من بين أبرز أعمال "سارتر" التي تعبر عن إتباعه لآرائه الفلسفية ومواقفه الأخلاقية.
- هذه المسرحية واحدة من أشهر مسرحيات سارتر، حيث تبرز - كما هو الحال مع العديد من مسرحياته - مهارته في دمج العناصر الدرامية بشكل متقن يثير إعجاب الجمهور ويمتعه، بالإضافة إلى النقاشات الفلسفية التي تتضمنها. يتميز سارتر بقدرته على أن يوازن بين البناء الدرامي والنقاشات الفلسفية في أعماله، حيث لا يغلب الجانب الفكري على الجانب الدرامي كما يحدث في بعض مسرحيات ألبير كامو. حيث يظهر في بعض شخصيات سارتر في مسرحياته تعبيراً عن خبرة وعمق في الحياة يتجاوز تكوينهم الشخصي، ويرجع ذلك إلى رغبة سارتر في نقل أفكاره من خلال تلك الشخصيات، كما يظهر في مسرحيتي "لا مفر" و"موتى بلا قبور".
- تتمثل فلسفة سارتر في الرغبة في السيطرة على تجربة حياتية مهمة من خلال فهمها واستخلاص قوانينها، وتحولها إلى نمط من التوقعات يتم تنظيمه في الوعي. يتم توصيل هذا الوعي إلى الآخرين بشكل مقنع وفعال، مما يجعل تجربة الفرد تصبح تجربة جماعية.

- سعى سارتر من خلال مسرحيته إلى استعادة التجربة الإنسانية، التي تشمل الصراعات المستمرة بين الإنسان والآخرين، أو بين الإنسان والطبيعة منذ البداية. ولذلك، كان بالإمكان استعادة هذه التجارب من خلال تجارب واقعية محاكاة، أو تجارب افتراضية ممكنة. وكان الهدف من هذه التجارب هو توضيح الصراعات التي يواجهها الإنسان وإيجاد حلول لها، وتحويلها إلى تجارب يمكن الاستفادة منها في المستقبل. كما تهدف هذه التجارب إلى تحديد قدرة الإنسان على قبول التحديات والنجاح في مواجهة الصعاب في حياته.
- الدراما نشأت كنشاط معرفي بفضل النزعة نحو "الانثروبومورفيه" في الفكر الإنساني، حيث يسعى الإنسان والجماعة إلى تفسير الظواهر والقوى الطبيعية بشكل إنساني بناء على تجاربهم ومنطقهم، ليفهموا ويتغلبوا على الرهبة من المجهول التي تثيرها هذه الظواهر والقوى الغامضة التي تتعارض معهم أحياناً.

## 10. قائمة المراجع:

- <sup>1</sup> جان بول سارتر، تر: عبدالرحمان بدوي، الوجود والعدم، منشورات دار الآداب، بيروت، ط1، 1966، ص5-6-7-8-9.
- <sup>2</sup> - لوك لوفافر، تر: حثا دميان، سارتر والفلسفة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1954، ص10
- <sup>3</sup> جون ماكوري، تر: إمام عبدالفتاح إمام، الوجودية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الكويت، 1986، ص12
- <sup>4</sup> توماس آر فلين، تر: مروة عبدالسلام، الوجودية مقدمة قصيرة جدا، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ط1، 2013، ص21
- <sup>5</sup> جان بول سارتر، تر: جلال العشيري، من الوجودية إلى العبث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2019، ص12-13
- <sup>6</sup> جان بول سارتر، تر: جورج طرايشي، الماركسية والوجودية، دار البيقطة العربية، بيروت، 1964، ص33
- <sup>7</sup> زينه علي جاسم محمد، مفهوم الوجود ودلالاته في الفكر الفلسفي، مجلة كلية الفقه، جامعة الكوفة، العدد30، 2019، ص350
- <sup>8</sup> مطاع صفدي، الحرية والوجود، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1961، ص56
- <sup>9</sup> جان بول سارتر، تر: عبدالمعزم الحفني، الوجودية مذهب إنساني، مطبعة البار المصرية، القاهرة، ط1، 1964، ص11
- <sup>10</sup> جان بول سارتر، تر: جلال العشيري، من الوجودية إلى العبث، م.س، ص13
- <sup>11</sup> Gary Cox, Sartre and Fiction (A&C Black, 2009), p. 13. <https://www.bloomsbury.com/uk/sartre-and-fiction-9780826423184/>
- <sup>12</sup> محمد شحاته ربيع، علم نفس الشخصية، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط1، 2013، ص206
- <sup>13</sup> الرويلي ميجان، البازعي سعد، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2002، ص22-21
- <sup>14</sup> جان بول سارتر، تر: جلال العشيري، من الوجودية إلى العبث، م.س، ص31
- <sup>15</sup> فهي مصطفى، التكيف النفسي، دار مصر للطباعة، مصر، 1987، ص14
- <sup>16</sup> الرويلي ميجان، البازعي سعد، دليل الناقد الأدبي، م.س، ص23
- <sup>17</sup> مارتن هيدجر، تر: جمال محمد أحمد سليمان، الوجود والموجود، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2009، ص15
- <sup>18</sup> جان بول سارتر، تر: جلال العشيري، من الوجودية إلى العبث، م.س، ص65
- <sup>19</sup> جان بول سارتر، تر: سهيل إدريس، مسرحيات، منشورات دار الآداب، بيروت، 1970، ص21